

جهود الدكتور أبو القاسم سعد الله
في تحقيق التراث الجزائري: نماذج مختارة.

~~~~~ د. عبد الحق شرف \*

**تقديم:** يقول أبو القاسم سعد الله رحمه الله: "قلمي لا يهدأ له بال، ولا يستقر له حال...؛ فالكتابة عندي هي دوائي وهي داني، هي غذائي وهي هوائي، فإذا كتبت رضىت عن نفسي، وإذا لم أكتب سخطت عنها، ومرّ اليوم كأنه سرّق من عمري".  
كان المرحوم سعد الله مثالا يحتذى به في الكتابة والبحث والتأليف؛ فقد سخر كل حياته لهذا الغرض، وكان له ذهن لا يكاد يكلّ، وقلم لا يفتر، خاصة إذا تعلق الأمر بالتعريف بتاريخ الجزائر وحضارتها، وأعلامها وما خلفوه من آثار علمية ثمينة، حيث أنه حاول أن يعيد الاعتبار للتاريخ الوطني الذي طالته أيادي التشويه والتزوير.

يقول في مقدمة كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر: "سلاحظ القارئ العربي أن اهتمامنا بقضايا التاريخ قد لا يكون هو نفس اهتمامات المثقفين في المشرق، ويرجع ذلك إلى أن تاريخ الجزائر قد تعرض إلى تشويه فضيع على أيدي كتاب المدرسة الاستعمارية في غياب مدرسة وطنية موازية، وحين حصلنا على استقلالنا كان علينا أن نصفي تاريخنا من روح الاستعمار، وأن نلجأ في ذلك إلى العلم والمنهجية واللغات الأخرى، لأن مؤرخي الاستعمار قد استعملوا كل ذلك ضدنا"<sup>1</sup>.  
فعلا كتب سعد الله رحمه الله كثيرا؛ إما معروفا بتاريخ بلده، أو علم من أعلام ربوعه الطاهرة، أو معروفا بكثر دفين يضم تاريخ أمة وأجداد شعب، ناضل وكافح بقلمه مدة قرن ونيف ضد الاستعمار الظالم البغيض.

لقد قدم سعد الله تحبّيه وطلبته وقرائه الأوفياء، وكل من اهتم بتاريخ الجزائر؛ عصارة جهود مضيئة استمرت لنصف قرن تقريبا؛ فقد عرّف بالتاريخ الثقافي للجزائر، وفصل المقال عن تاريخ

\* أستاذ محاضر في التاريخ الحديث والحضارة الإسلامية - قسم التاريخ - جامعة ابن خلدون - تيارت.

الحركة الوطنية، ونفض الغبار عن الكثير من مخطوطات علماء الجزائر المغمورين كابن الفكون وابن حمادوش والعدواني؛ موضوع هذه الورقة العلمية.

الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله في سطور<sup>2</sup>: كتب في مدونته الإلكترونية معرفا بنفسه قائلا: إنه من مواليد 1930م بضواحي قمار بوادي سوف، الجزائر. حفظ القرآن الكريم، وتلقى مبادئ العلوم من لغة وفقه ودين.

درس بجامعة مينيسوتا، قسم التاريخ (أمريكا)، وبجامعة القاهرة (مصر)، كلية دار العلوم؛ فحصل على الماجستير والدكتوراه، وإضافة إلى إتقانه وتمكنه من اللغة العربية؛ كان يتقن اللغة الفرنسية والإنجليزية، ويلم بالفارسية والألمانية. اشتهر رحمه الله بتخصصه الذي عادة ما كان يميل إلى الكتابة فيه، فكان له ولع وحب كبير للتاريخ الحديث والمعاصر؛ حيث كتب عن تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، وعن تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، وتاريخ النهضة الإسلامية الحديثة، الدولة العثمانية منذ 1300م، إضافة إلى ذلك قام بتدريس أكثر من عشرين مقياسا منذ سنة 1966م لطلبة التدرج والدراسات العليا بكل من الجزائر والأردن والولايات المتحدة الأمريكية (ويسكنسن، أوكلير).

كما عمل- رحمه الله- أستاذا زائرا في عدة جامعات عربية (جامعة الملك عبد العزيز بالسعودية، جامعة عين شمس بمصر، جامعة دمشق بسوريا) وأمريكية (جامعة مينيسوتا، وميشيقان)، وتولى منصب وكيل كلية الآداب بجامعة الجزائر (1968-1972)، ورئيسا لقسم التاريخ بجامعة الجزائر (1969-1971).

شارك الفقيه في عدة مؤتمرات، وألقى عدة محاضرات وفي مناسبات عديدة، جاوزت الأربعين عملا، ومثل الجزائر في عدة محافل، وألف وجمع وحقق فأسفرت الحصيللة عن موسوعات علمية ضخمة جاوزت المائتين بين تحقيق وكتاب وبحث ومقالة، ومحاضرات ومقالات صحفية وغيرها، لعل أهمها وأبرزها كتاب "تاريخ الجزائر الثقافي"، "أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر"، و"الحركة الوطنية"، كما أشرف على الكثير من الرسائل الجامعية بالجزائر وخارجها.

جهوده في ميدان تحقيق التراث الجزائري: بذل الأستاذ سعد الله رحمه الله أنفُس أوقات عمره معتنيا بمخطوطات علماء الجزائر؛ إما دارسا أو محققا أو معلقا عليها، وقد أسفرت محاولاته الجادة على تحقيق ستة مخطوطات نفيسة لعلماء جزائريين أدلوا بدلوهم في الحياة العلمية والسياسية لبلدهم، وللإشارة فإن هذه التحقيقات نشرها في فترات متفرقة، وصدرت إما عن دور نشر وطنية أو عربية، وهي كالتالي:

- 1- تاريخ العدواني، تأليف محمد بن عمر العدواني.
  - 2- منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تأليف عبد الكريم الفكون.
  - 3- رحلة ابن حمادوش (لسان المقال)، تأليف عبد الرزاق بن حمادوش.
  - 4- رسالة الغريب إلى الحبيب، تأليف أحمد بن أبي عصيدة البجائي.
  - 5- مختارات من الشعر العربي، جمع المفتي أحمد بن عمار.
  - 6- حكاية العشاق في الحب والاشتياق، تأليف الأمير مصطفى بن إبراهيم باشا.
- وقد تفضل المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 بطبع هذه التحقيقات ضمن الأعمال الكاملة للمرحوم الدكتور أبو القاسم سعد الله بمناسبة خمسينية الاستقلال، وهذه الطبعة هي التي سنعملها في إنجاز هذه الدراسة.
- النماذج المختارة للدراسة: سنقتصر في هاته الورقة العلمية على النماذج الثلاثة الأولى، ونبرز جهود المرحوم الدكتور أبو القاسم سعد الله في تحقيقها، وقد لا يتبنا أدنى شك أن أستاذنا المرحوم قد عانى كثيرا وهو بصدد البحث عن نسخ لمخطوطاته تلك، وضبط نصها وتحقيقها ثم إخراجها كآخر مرحلة، حيث نجده يعبر عن جسامه العملية وصعوبتها لما انتهى من تحقيق مخطوط رحلة ابن حمادوش قائلا: "لو قيل لي عن التعب الذي سيصادفني من جراء تحقيق هذه المخطوطة قبل الإقدام عليه لما صدقته أو لما أقدمت عليه أصلا"<sup>3</sup>.
- 1- تاريخ العدواني أو كتاب الأخبار في القصص على نسب بعض الأوطان وعمارة سوف وأجوبة على مسائل وفوائد شتى<sup>4</sup>: لا يعتبر تاريخ العدواني لمؤلفه محمد بن محمد بن عمر العدواني<sup>5</sup> (من أهل القرن 11هـ / 17م)؛ من المصنفات التاريخية الصرفة، والتي اهتمت بشكل أو بآخر بتاريخ الجزائر، بل إنه يصنّف ضمن التاريخ المحلي لمنطقة وادي سوف وحواليها.
- ومع أن لهذا المصدر قيمة تاريخية كبيرة؛ فإن اللغة الشعبية التي كُتب بها والتي هي أقرب ما تكون إلى العامية منها إلى الفصحى؛ وكذا لكونه كتابا يتعرض للحروب القبلية والغزوات على الطريقة القديمة، والصراع من أجل البقاء وأمور أخرى كثيرة؛ كلها أسباب ربما كانت وراء عزوف الباحثين عن تحقيقه وإخراجه إلى النور رغم تعدد نسخته.
- ويعتبر هذا الأمر في طليعة الأسباب التي حدثت بالدكتور أبو القاسم سعد الله إلى العكوف على دراسته وتحقيقه رغم ما في المهمة من مشقة كبيرة، حيث نجده يقول في هذا الإطار: "وفي لحظة

مجهولة سألت نفسي: لماذا لم ينشر تاريخ العدواني على الناس؟ ولماذا بقي حبيسا في بعض الخزائن الخاصة بجهله عامة الناس، ويحتج به البعض، وينسب إليه آخرون ما ليس فيه؟ وقلت في نفسي أيضا: إن هناك مخطوطات ووثائق أقل منه قيمة رأت النور ونشرت باسم التراث الشعبي تارة وباسم التراث المحلي تارة أخرى<sup>6</sup>.

إن تاريخ العدواني من المصادر المهمة التي حوت أخبارا مهمة عن الجزائر وتونس وليبيا وحق المشرق العربي؛ فهو كتاب يؤرخ لحياة القبائل التي استوطنت الجنوب الشرقي من الجزائر، والجنوب الغربي من تونس، وأصولها العربية ومسيرتها من المشرق إلى المغرب، وصراعها ضد الحكام من حفصيين وعثمانيين<sup>7</sup>.

لقد عاش العدواني في عصر غاب فيه التدوين التاريخي في الجزائر، عدا ما كتبه المقرئ في نفحه<sup>8</sup>، وهو أمر حفز الأستاذ سعد الله على إتمام مشروع تحقيقه لهذا الطرس رغم ما يعتره من تعب كبير، خاصة في ظل غياب ترجمة وافية للعدواني أو قل انعدامها، وهو ما طرح إشكالا كبيرا لديه إذ يقول: "لقد تعددت نسخ تاريخه في أيدي الناس ولم تتعدد جوانب حياته، فلا يعرف الناس أين ولد ولا أين وكيف عاش؟ ولا أين توفي ولا متى؛ فكيف سنترجم هنا حياة العدواني؟"<sup>9</sup>.

نعم لم تكن المهمة سهلة على الإطلاق، ولم تكن عملية التحقيق بالهينة؛ فقد كان لزاما على الخقق أن يتعامل مع نص المخطوط بحذر تام، خاصة إذا أخذنا في الحسبان اللغة العامية التي كتب بها، وهذا الأمر هو الذي أرق أستاذنا كثيرا، أينشر المخطوط بأسلوبه ولغته العامية، أم ينشره نصا معربا؟

تقتضي عملية التحقيق أن نعيد نشر النص كما أراد له مؤلفه، وليس لنا الحق أن نتدخل فيه من الوجهة التاريخية والعلمية<sup>10</sup>، وهذا هو المنهج الذي اتبعه المرحوم في عملية التحقيق؛ نستشف ذلك من قوله: "وقد كان علينا أن نقرر حيال هذا النص، إما أن نتركه على ما هو عليه حفظا للأمانة والتنبيه العام على ما فيه، والطريقة التي يجب أن يُقرأ بها، وإما أن نلجأ إلى إعرابه كله؛ فنعيد صياغته بطريقة كلية أو جزئية... وحفظا للأمانة تركنا النص على ما هو عليه، وقمنا بالتنبيه العام في أول عملنا ليعرف القارئ أي نص يقرأ، وإذا رأينا أن المعنى سيتوقف على تدخلنا تدخّلنا وأشرنا إلى ذلك بأسفل الصفحة؛ وهذه طريقة ليست سهلة"<sup>11</sup>.

لقد ذهب الدكتور سعد الله في تحقيقه إلى أبعد من ذلك بكثير؛ حيث كلّف نفسه عناء البحث في ما سماه لغة العدواني- لغة القرن العاشر والحادي عشر الهجريين- ليستنتج في الأخير أن لغته هي لغة بني هلال وبني سليم الباقية على صفائها ويداوتها؛ وهو عمل ليس بالمتاح ولا السهل<sup>12</sup>. وكثيرا ما كان المحقق يرجع إلى الرسم والإملاء ويوحّده مع رسم وإملاء الاستعمال الحاضر، أما ما كان منه يرجع إلى اللغة أو النحو أو الصرف فقد تركه على حاله، مع التنبيه أحيانا في التعليق على ما لا يستقيم المعنى إلا بالإشارة إليه كالتنبيه والتأخير وبعض التراكيب النحوية أو الصرفية المضطربة<sup>13</sup>.

خلص المرحوم سعد الله في الأخير إلى أن عملية التحقيق التي تمت انطلاقا من أكثر من عشر نسخ بما فيها نسخة فيرو (الترجمة التي قام بها لتاريخ العدواني ونشرها في مجلة روكاي التي كانت تصدر بقسنطينة سنة 1967)، لم تكن بالسهولة التي يتصورها بعض الأكاديميين خاصة لما يتعلق الأمر بمخطوط كتب بلغة عامية، وهو ما جعله عرضة للكثير من الانتقادات؛ بل إن تأخر تحقيقه ونشره ليدلّ دلالة واضحة على ذلك، وهو ما جعله يردّ على ذلك بتحقيقه للمخطوط ويقرر قائلا: "وفي رأينا إن تاريخ العدواني، رغم كل النقد الذي يوجه إليه، يعتبر وثيقة حية عن الحالة الاجتماعية والسياسية التي كانت عليها تونس والجزائر وطرابلس في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين؛ وكفاه ذلك أهمية"<sup>14</sup>.

2- منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية: مؤلف هذا المصدر التاريخي الهام هو عبد الكريم الفكون<sup>15</sup>، ويمكن أن يكون قد ألفه على فترات في شكل مذكرات؛ وانتهى من ذلك سنة 1045هـ/1635م، وهي السنة التي توفي فيها والده<sup>16</sup>.

يحتوي الكتاب على معلومات هامة عن الحياة الاجتماعية في عاصمة الإقليم قسنطينة؛ وعلاقات العائلات بعضها ببعض، وكذا علاقة هذه العائلات بالسلطة المحلية والوطنية، والمناصب المفتوحة أمام العلماء والوظائف المخزنية ونحوها<sup>17</sup>.

ويرى سعد الله أن الفكون اهتم بتدوين الأحداث الداخلية على هذا النسق، وقام بإهمال الأحداث الخارجية الدولية، وقد حاول جهده أن يجد تبريرات- وهو مما تقتضيه عملية الدراسة والتحقيق- مقبولة، فخلص إلى أن الفكون لا يمكن بأي حال من الأحوال اتقاهم بقصر النظر أو

عدم الاطلاع أو حتى عدم الاهتمام، ذلك أنه كان على ثقافة واسعة، وكان ذكيا لا تخفى عليه أمور السياسة والسلطة<sup>18</sup>.

ثم إن التفسيرات التي ساقها المحقق في هذا الإطار لتدل دلالة واضحة على حرص وجهد كبيرين من طرفه من أجل جعل كتاب منشور الهداية وصاحبه على السكة الصحيحة؛ فجاء تبرير عدم اهتمام الفكون في منشوره بالأحداث الدولية لأمرين اثنين؛ أولهما: أن رؤية الفكون لدور رجل العلم والدين رؤية خاصة، بحيث يؤمن بعدم التدخل في الشؤون السياسية (الدنيوية) والحفاظة على مكانة رجل العلم والدين أمام رجل الحكم والسياسة.

أما التبرير الثاني لموقفه من عدم التعرض للحياة السياسية العامة، فقد يكون ذلك راجعا إلى كونه قد ألف كتاب منشور الهداية للنصح العام، وضرورة التخلص من الشعوذة والخرافة التي حلت بعقائد المسلمين، ومن ثم تصبح دعوته دعوة إصلاحية سلفية، يعتبرها هو ضرورة للخروج بالمسلمين مما هم فيه من الانحطاط العقلي الذي لا يتلاءم مع مبادئ دينهم، ولا ما عليه العالم عندئذ من صراع شديد بين الدولة العثمانية والدولة الإسبانية.

وأمام هذين التبريرين يخلص أستاذنا قائلا: "فإذا صح هذا التفسير فإن دعوته الداخلية تصبح مكتملة لعنصر القوة الخارجية الذي كان يقوم به الأسطول"<sup>19</sup>.

إن الجهد الذي بذله الدكتور سعد الله من أجل تحقيق منشور الهداية هو جهد كبير لا يجب أن يستهان به؛ فرغم أنه حققه من نسخة وحيدة مصورة عن نسخة الشيخ المهدي البوعبدلي والشيخ حبة؛ إلا أن تحقيقه كان عملا جليلا جدا.

لقد حاول سعد الله جاهدا الحصول على نسخة ثانية لكنه لم يوفق، ومع ذلك فإنه لم يفرط البتة في محاولة وضع القارئ لمنشور الهداية على السكة الصحيحة؛ فسعى حثيثا في البحث والتقيب عن المؤلفات التي نقلت عن الفكون في منشوره حتى يتسنى له ربما الوصول إلى نسخ أخرى للمخطوط، ورغم أن الحظ لم يحالفه في ذلك فإنه استطاع أن يتتبع مجمل من له دراية به أو كتب أو نقل عنه، فكان ذلك وجهها آخر من أوجه التفاني التي تميز بها أبو القاسم سعد الله في تحقيقه لهذا المؤلف الهام.

- ومن أمثلة ذلك؛ أنه رجع إلى كتاب تاريخ بايات قسنطينة للكاتب الفرنسي "فايست" الذي علم بالكتاب وعرف أهميته بالنسبة لموضوعه، فحاول الحصول عليه، وبذل جهدا مضنيا، ولكنه لم يستطع الاطلاع عليه كاملا إلى بضع وريقات<sup>20</sup>.

- كذلك رجع المحقق إلى ما كتبه الفرنسي الآخر (شيربونو) عن قسنطينة في العهد العثماني، الذي اكتفى بالقول بأن كتاب منشور الهداية يتناول "طرق الصلاح أو تاريخ المرابطين في شمال إفريقيا"<sup>21</sup>.

- ومن المصادر التي راجعها المرحوم؛ ونقلت عن منشور الهداية كتاب تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم الحفناوي.

وهكذا وبعد رحلة طويلة ومتعبة وشاقة مع مخطوط منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية؛ نجد محققنا يعبر وبكل موضوعية عن أسفه الشديد في عدم الحصول على نسخ أخرى للمخطوط قائلا: "وهكذا كانت حصيلتي من كل الجهد الذي بذلته نسخة مصورة من منشور الهداية هي نسخة الشيخ المهدي البوعبدلي ونسخة أخرى مصورة أيضا هي نسخة الشيخ حبة"<sup>22</sup>.

إن الجهد الذي بذله الدكتور أبو القاسم سعد الله من أجل التعريف بمنشور الهداية وتحقيقه ونشره هو من أشرف الأعمال التي أقدم عليها، ورغم كل العراقيل وكل المثبطات التي وقفت حجر عثرة، إلا أنه لم يضق ذرعا بذلك واستطاع إتمام المهمة - رغم الكثير من النقائص - بنجاح، وهو ما عبر عنه متبرما إذ يقول: "إننا نطمح في العثور على نسخة أخرى من منشور الهداية، وعندئذ يمكننا المقارنة بين ما حققناه وما لم نطلع عليه".

وإن شح بعض الناس بما عندهم من مخطوطات قد يؤخر نشر مخطوط ما، ولكنه لا يستطيع أن يمنعه من الظهور إلى الأبد...، وإننا نرجو أن نكون بإقدامنا على نشره رغم كل المثبطات، قد أدينا خدمة للمؤلف الذي أعلن أنه أراد به النصح العام للمسلمين...، وقد يدل نشر كتابه اليوم، بعد حوالي أربعة قرون من تحريره، أن دعوة الفكون لم تكن صحيحة في واد، ولا نفخة في رماد، ذلك أن الفكرة الصالحة تعبق وتنشر ولو بعد سنين، والبذرة الطيبة تخصب وتثبت ولو بعد حين"<sup>23</sup>.

3- رحلة ابن حمادوش الجزائري: أو لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال؛ تأليف عبد الرزاق بن محمد بن محمد المعروف بابن حمادوش الجزائري من أهل القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي<sup>24</sup>.

تعتبر هذه الرحلة من المصادر المهمة للتاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي للجزائر والمغرب الأقصى وغيرها، ويشهد بذلك اهتمام الكثير من المؤرخين الأوروبيين أمثال لوسيان ليكيرك والسيد غبريال كولان، وكذا جواخيم دي جونزاليز الذي ذكره من بين مصادره الأساسية في رسالته المعروفة باسم "مشاهير مسلمي مدينة الجزائر"؛ حيث أخذ عنه أسماء ولاية الجزائر وقارنها بما أورده عبد الرحمن بن رقية في "الزهرة النيرة"<sup>25</sup>.

كما اهتم بعض المؤرخين المغاربة بشخصية ابن حمادوش أمثال الكتاني في فهرس الفهارس<sup>26</sup>، ومحمد بن داود في تاريخ تطوان، ورغم الاهتمام الكبير للمؤرخين الأوروبيين والمغاربة وبعض الجزائريين (احميدة العمالي)؛ إلا أن رحلة ابن حمادوش بقية مقبورة مطمورة في رفوف خزائن المخطوطات، والغريب في الأمر أن رحلته تلك بقيت مجهولة من طرف أهل بلده<sup>27</sup>.

وفي هذا الإطار؛ كان جل اهتمام المرحوم الدكتور أبو القاسم سعد الله من أجل تحقيق هذه الرحلة رغم توفر الجزء الثاني منها فقط وفي نسخة فريدة، أخذت منه فرائد وقته وأزهى أيام عمره في الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية، فكانت اخصلة عشر سنوات من البحث والتنقيب والتحقيق، ربما جعلت قواه تخور أمام صعوبة وجسامة العملية وهو ما أعلنه صراحة عند طبع الكتاب لأول مرة سنة 1983م: "لو قيل لي عن التعب الذي سيصادفني من جراء تحقيق هذه المخطوطة قبل الإقدام عليه لما صدقته أو لما أقدمت عليه أصلا، وعلى كل حال فقد أصبحت لا أغبط اخققين للنصوص القديمة تحقيقا علميا، لأنهم بدون شك يعانون الكثير ويرجون القليل، وكل جزائهم فيما يبدو هو رضى النفس، والوفاء لصاحب النص وراحة الأجيال"<sup>28</sup>.

ورغم الصعوبة التي تقتضيها عملية التحقيق، فإنه انضاف للمحقق عاملين آخرين جعلوا المهمة أكثر صعوبة، وأكثر إصرارا منه لإتمامها:

- تتمثل الأولى في تعدد موضوعات نص الرحلة، ذلك أن رحلة ابن حمادوش حوت موضوعات كثيرة وغير مترابطة، وهو معطى يحتم على محققها أن يكون على دراية وعلم بالتاريخ والفقه والتوحيد والتصوف والرياضيات والقصص الخرافي، والأسانيد ونحوها.

وقد كان هذا الأمر من أكبر الصعوبات التي اعترضت المحقق، حيث عبر عن ذلك وبصراحة قائلا: "وكان هذا في الواقع هو مصدر تعبي الشديد؛ فقد كان علي أن أعود إلى كتب كثيرة، وأن أرسل بشأن مسائل متعددة بعض العلماء من داخل الجزائر وخارجها، وأن أكرر التدقيق والتحري"<sup>29</sup>.

- أما العامل الثاني: فهو عامل حساس كذلك؛ ويتمثل في النسخة الوحيدة للرحلة، وهو عائق آخر يضاف إلى سلسلة العوائق والأعباء التي تحملها المحقق، ذلك أن عملية التحقيق تقتضي الحصول على أكثر من نسخة تفاديا للتصحيف والتحريف، وغير ذلك من مقتضيات التحقيق العلمي الأكاديمي.

إن تحقيق رحلة على شاكلة رحلة ابن حمادوش مع افتقاد نسخة ثانية، وتعدد مشارب وأفكار الرحلة هو أمر صعب جدا لا محالة، ومع ذلك فقد أثرت محاولة المحقق الجادة، وجعلته يتبوأ وبحق المرتبة العليا ضمن محققي التراث الوطني.

ومع أن عملا من هذا القبيل ليس متاحا ولا سهلا، فإن المحقق اعترف آخرًا بنبل العملية قائلا: "إن هذا العمل الذي استغرق قرابة عشر سنوات قد استنفذ طاقة هائلة مني ومن أناس آخرين، وإذا كان جهدي متروكا للقراء، فإن تقدير جهود الذين أسهموا معي في إنجاز هذا العمل من مهمتي أنا"<sup>30</sup>.

خاتمة: لقد استطاع الدكتور سعد الله خلال مسيرته العلمية التي امتدت لأكثر من نصف قرن أن يميظ اللثام عن الكثير من قضايا التاريخ الوطني، خاصة بعد تحقيقه لمجموعة من المخطوطات الجزائرية التي شكلت حلقة من حلقات تاريخ هذه الأمة.

وخلال هذه العملية التي بذل فيها الغالي والنفيس لم يضق المرحوم ذرعا بالتعب الناتج عنها، ولا التكاليف المادية التي أرهقته وعائلته لسنوات طوال، لا لشيء سوى للتعريف بتراث وطن أحبه وتفقأ في حبه.

إن المدرسة التاريخية الجزائرية اليوم وهي تنعي فقيدها الدكتور سعد الله، تقف وقفة إجلال وإكبار لهذا العالم الذي أفنى أزهى فترات عمره لخدمة التاريخ الوطني وبعثه من جديد، في وقت كان عرضة للتهميش والإقصاء.

ومع أن أعماله كانت بشهادة من عرفه وتتلذذ له من الأعمال الجليلة التي خدم بها الأمة، فإننا نقول وبكل موضوعية إن المرحوم قد أتى بأشياء جديدة وكثيرة فيما كتب ونشر وحقق. إلا أنه يجب علينا كباحثين أن نعيد النظر في بعض كتاباته ونتخلص من النظرة التمجيدية لها والتي كان يرفضها هو في حد ذاته.

### الهوامش:

- 1- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزائر: دار البصائر، طبعة خاصة، 2007، ج1، مقدمة الطبعة الثالثة.
- 2- لتفاصيل وافية عن حياة المرحوم الدكتور أبو القاسم سعد الله راجع مدونته التالية:  
[http://veecos.net/portal/index.php?option=com\\_content&view=article&id=1102:2010-02-28-08-51-39&catid=175:cv-bolg](http://veecos.net/portal/index.php?option=com_content&view=article&id=1102:2010-02-28-08-51-39&catid=175:cv-bolg).
- راجع كذلك الرابط التالي: <http://www.ahlalheeth.com/vb/showthread.php?t=325781>
- يوم الثلاثاء 4 مارس 2014، ساعة الدخول: السابعة والنصف مساء، والخروج: الثامنة مساء.
- 3- عبد الرزاق بن حادوش الجزائري، رحلة ابن حادوش الجزائري، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، ضمن الأعمال الكاملة للدكتور أبو القاسم سعد الله، بيروت: دار الغرب الإسلامي، طبعة خاصة بخمسينية الاستقلال، ج13، ص: 19.
- 4- عن عنوان الكتاب راجع: العدواني، تاريخ العدواني، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، ضمن الأعمال الكاملة للدكتور أبو القاسم سعد الله، ج12، ص: 77.
- 5- عن حياة العدواني راجع: مقدمة تحقيق تاريخ العدواني، ج12، ص: 17-22.
- 6- المصدر نفسه، ص: 11.
- 7- نفسه، ص: 12-13.
- 8- نفسه، ص: 13.
- 9- نفسه، ص: 17.
- 10- لتفاصيل أوفى عن هذا الموضوع راجع: صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات، بيروت: دار الكتاب الجديد، ط7، 1987.
- 11- تاريخ العدواني، ص: 27.
- 12- راجع النماذج من تاريخ العدواني، ص: 28-32.
- 13- العدواني، تاريخ العدواني، ص: 32.
- 14- المصدر نفسه، ص: 50.
- 15- عبد الكريم الفكون: بن محمد بن عبد الكريم الفكون التميمي القسنطيني المولود سنة 988هـ/1580م، والمتوفى سنة 1073هـ/1662م. عن حياة الفكون راجع: أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1986، ص: 57.
- 16- عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تعريف وتعليق وتلخيص: أبو القاسم سعد الله، ضمن الأعمال الكاملة للدكتور أبو القاسم سعد الله، ج12، ص: 14.
- 17- المصدر نفسه، ص: 16.
- 18- نفسه، ص: 9.
- 19- نفسه، ص: 9 والتي تليها.
- 20- فايس (روكاي)، سنة 1868، ص: 263. نقلا عن: أبو القاسم سعد الله، تحقيق منشور الهداية، ص: 19.
- 21- أبو القاسم سعد الله، تحقيق منشور الهداية، ص: 20.
- 22- الفكون، منشور الهداية، ص: 21.
- 23- نفسه- ص: 23.

- الفكون، منشور الهداية، ص: 23-24.
- 24- عن حياة الرحالة ابن حمادوش راجع: أبو القاسم سعد الله، الطيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- 25- رحلة ابن حمادوش الجزائري، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، ج13، ضمن الأعمال الكاملة للدكتور أبو القاسم سعد الله، ص: 11-12.
- 26- عبد الحى الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات، باعثناء إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1982، ص: 703 وص: 1112.
- 27- راجع الأستاذ سعد الله في هذا الإطار. رحلة ابن حمادوش، ص: 11.
- 28- المصدر نفسه، ص: 19.
- 29- نفسه.
- 30- نفسه، ص: 25.

### Resume :

#### ***Dr Abu al-Qasim Saad Allah's Efforts in the Achievement of Algerian Heritage***

*Dr Abu al-Qasim Saadallah is a son of veteran generation who lived both the liberation revolution and the independence, during which he lived in and for Algeria, where he devoted his pen to defend it, either as a writer or explainer of its heritage, scholars, history and civilization, or a critic or investigator.*

*The works left behind Dr. Saad Allah in the field of investigation of the venerable deeds providing a great service to humanity in general and to Algeria in particular. Any researcher in the cultural history of Algeria can not do without Saadallah's writings, neither can he do without some of the investigations of a group of Algerian precious manuscripts like 'Gifts' publication of 'Ibn El-Fakroun', and 'Ibn Hamadouch journey', and the 'El-Udouani history'*

*We are trying, through this paper, to talk about his efforts - God's mercy- in the achievement of Algerian heritage through the three models mentioned above.*